تفسير الكتاب المقدّس

رسالة بولس الرسول إلى العبرانيين

الإصحاح الرابع

الأب ابراهيم سعد

٢٠١٦/١١/١٥

"فَلنَخَفْ، أنّه مع بقاء وعدٍ بالدّخول إلى راحته، يُرى أحدٌ مِنكُم أنّه قد خاب منه! لأنّنا نحن أيضًا قد بُشِّرنا كما أولئك، لكن لَمْ تنفع كلمة الخَبَرْ أولئك، إذ لم تكن ممتزجةً بالإيمان في الّذين سَمِعُوا. لأنّنا نحن المؤمنين ندخلُ الرّاحة، كما قال: "حتّى أقسمتُ في غضبي: لن يدخلوا راحتي" مَعَ كَوْنِ الأعمالِ قد أُكْمِلَتْ منذُ تأسيسِ العالم. لأنّه قال في مَوضِعٍ عن السّابع هكذا: "واستراح الله في اليوم السّابع مِن جميعِ أعماله" وفي هذا أيضًا: "لن يدخُلوا راحتي". فإذا بَقيَ أنَّ قومًا يدخلونَها، والّذين بُشِّروا أوّلاً لم يَدخُلوا لسبب العُصيان، يُعَيِّنُ أيضًا يومًا قائلاً في داود: "اليوم" بعد زمانٍ هذا مِقدارُهُ، كما قِيلَ: "اليوم، إنْ سمعتم صوته فلا تُقسُّوا قلوبكم". لأنّه لو كان يشوع قد أراحهم، لَما تكلّم بعد ذلك عن يوم آخر. إذًا، بقيَتْ راحةٌ لشعب الله! لأنّ الّذي دَخل راحتَه، استراح هو أيضًا مِن أعماله، كما الله مِن أعماله. فَلْنَجْتَهِد أنْ ندخل تلك الرّاحة، لئلّا يسقُطَ أحدٌ في عِبرة العصيانِ هذه عينها. لأنّ كلمة الله حيّةٌ وفعّالةٌ وأَمْضَى مِن كلّ سيفٍ ذي حدّين، وخارقةٌ إلى مفرق النّفس والرّوح والمفاصل والمِخاخِ، ومُمَيِّزةٌ أفكار القلب ونيّاته. وليست خليقةٌ غير ظاهرةٍ قُدَّامه، بل كلُّ شيءٍ عُريانٌ ومكشوفٌ لِعَينيّ ذلك الّذي معه أَمْرُنا. فإذا لنا رئيسُ كهنةٍ عظيمٌ قد اجتاز السّماوات، يسوع ابنُ الله، فَلنَتَمَسَّك بالإقرار. لأنْ ليس لنا رئيس كهنةٍ غير قادرٍ أن يرثي لِضعفاتِنا، بل مُجَرَّبٌ في كلّ شيءٍ مِثْلُنا، بلا خطيئةٍ. فَلنَتَقَدَّم بثقةٍ إلى عرش النّعمة لكي ننال رحمةً ونجِدَ نعمةً عَونًا في حينه."

إنّ موضوعَنا اليوم، يَتَمَحْوَرُ حول الآية الثانية من هذا الإصحاح وهي: "لأنّنا نحن أيضًا قد بُشِّرنا كما أولئك، لكن لَمْ تنفع كلمة الخَبَرْ أولئك، إذ لم تكن ممتزجةً بالإيمان في الّذين سَمِعُوا". إنّ سماع الإنسان لكلمة الله هو أساس تَحوُّلِه إلى كلمة الله المتحرّكة، فهذا هو الهدف مِن قراءة الإنجيل. إنّ الإيمان لا يقتصر على تصديق المؤمن لكلمة الله، إنّما أيضًا

على إعلان ارتباطه بكلمة الله من خلال تصرّفاته واختياراته في الحياة، الّتي تُشكّل العلامات الواضحة عن إيمانه بالله. إنّ علاقة المؤمِن بالله ستكونُ رادعًا له كي لا يَنْجَرَّ لإغراءات هذا العالم، فَيَخونَ الله. إنّ سلوك الإنسان وَنَمَطَ حياته هما اللّذان يدلّان على ارتباطه أو عَدَمِه. فكما أنَّ تصرّفات بعض الأزواج متهوّرة ولا تدلّ على ارتباطهم، فالأمر نفسه بالنسبة للمؤمِن، إذ عليه الانتباه كي لا تصدر عنه تصرّفات لا تعكس حقيقة إيمانه بالله.

"**إنّ كلمةَ الله** حيّةٌ وفعّالةٌ، أَمضَى من كلّ سيفٍ ذي حدّين، وخارقة إلى مَفرِق النّفس والرّوح والمفاصل والمخاخ ومُمَيِّزةٌ أفكار القلب ونيّاته."(آية١٢) إنّ كلمة الله تترك أثَرًا في نَفسِ المؤمِن، حتّى وإن أَظهر المؤمِن عدم تأثُّره بها في بادئ الأمر، لكنّ هذه الآثار لن تتأخّر في الظهور في حياة المؤمِن بطريقة لا يستطيع تَوَقُّعَها. لذا، لا يجب قطعُ الأمل في تَغَيُّر الإنسان الّذي كان قد سِمَع يومًا في حياته كلمة الله، فالإنسان لا يستطيع التهرّب مِن مفاعيل كلمة الله مَهما فَعل. إنّ كاتب هذه الرسالة وَصَف يسوع المسيح قائلاً إنّه "المجرَّب في كلّ شيء مِثلَنا، ما عدا الخطيئة". إنّ كلمة الله هي سيفٌ ذو حدّين: الأوّل طيّب المذاق، والآخر مرّ. إنّ كلمة الله تكون طيّبة المذاق، عندما يُبدي المؤمِن استعداده لسماعها وقبولها، ولَكِنَّ طعمها يتحوّل إلى مرّ، حين تدخل إلى أعماق الإنسان وتدفعه إلى اتّخاذ موقفٍ منها. إنّ هذا الاختبار قد عاشه أحد أنبياء العهد القديم، إذ إنّه حين تَنَاوَل الكتاب أي كلمة الله، شَعَرَ بِحَلاوتِه في فمه، أمّا في جوفه، فقَد شعر بالمرارة. عندما يدخل الإنجيل إلى أعماقِ الإنسان، يجد الإنسان نفسه في صراع داخليّ ما بين الخير والشرّ، بين الحقّ والباطل، بين النُّور والظلمة. هذا ما يَختبِرُه الإنسان في العُمق، حينَ يجدُ نفسَه مُجبرًا على اتّخاذ موقف حازمٍ في إحدى المسائل الّتي تعترضه، فَيَقِف حائرًا في أمره إذ عليه الاختيار ما بين الاعتراف بالمسيح وفقدان العالم، وما بين نكرانه للمسيح والحصول على الرِبح الدُنيويّ، وهذا ما يُعالجه سفر الرؤيا.

إنّ الكنيسة لا تنظر إلى شهادة المؤمِن للمسيح على أنّها فقط تقديم حياته للموت من أجل المسيح، إنّما تتخطّاها لتشمل اختياراته في هذه الحياة، إذ على المؤمِن أن يختار في كلّ موقفٍ يتعرّض له، بين المسيح وبين العالم. فالمؤمِن لا يمكنه أن يربح المسيح والعالم معًا، فَهوَ إمّا أن يخسر العالم ويربح المسيح، وإمّا أن يربح العالم فيخسر المسيح. إنّ المؤمِن يتحوّل إلى فريسيّ إذا سعى للحصول على المسيح والعالم في آنٍ، لأنّه سيعيش ازدواجية في حياته، الّتي ستَخلو مِنَ الشفافيّة والمصداقيّة. إنّ الإنسان يعيش هذا الصراع بشكلٍ دائم، وهذا الصِراع يطال كافة جوانب حياة الإنسان، فالإنسان يتعرّض إلى إغراءات هذا العالم وقد يقع في فخِّها. كما أنّه لا يمكننا أن ننسى تأثير الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة والنفسيّة على قرارات الإنسان، فَهو قد يتعرّض للخوف الشديد، فيُفَضِّل اختيار العالم على المسيح.

إنّ كلّ مَن اتّحد بالحقّ، عانق الصّليب. إنّ الصّليب هو نتيجة حتميّة لالتزام المؤمِن بالحقّ، فالإنسان الّذي لا يُعاني من أيّ ظلمٍ في هذا العالم، هو إنسان لا يعيش في الحقّ إنّما في الظلمة والباطل. وهذا ما يُفسِّر لنا اختيار بعض الأشخاص العيش وِفْقَ مقولة: "إن لم تكن ذئبًا، أَكَلَتْكَ الذئاب" إذ إنّهم يعتبرون هذه المقولة تمثِّل ثقافة العيش في هذا العالم، كما نستطيع أن نفهم ترقِيَة بعض المَوَظَّفين إلى مناصب مهمّة في أعمالهم، على الرّغم من اعتمادهم المنافقة والغشّ في

وظائفهم. إنّ الصّليب هو الثَمن الّذي يدفعه المؤمِن نتيجة أمانته لكلمة الله. إنّ المؤمن الّذي ألغى الصليب مِن حياته أو رَفَضَه، هو إنسان قد ترك إيمانه ليتبع العالم وأهواءه. إنّ المؤمن الأمين لكلمة الله، لا يبحث عن الصّليب، إذ إنّ المؤمِن لا يحبّ الألم ولا يبحث عنه، لكنّه ينال الصّليب نتيجة عيشه إيمانه بكلّ صدقٍ وشفافيّة. إنّ المؤمِن لا يبحث عن الصّليب ليجعل مِنه وسيلةً لقداسته، إنّما عَيشُ المؤمن لحياةٍ تَتَسِّم بالقداسة، تجعله يحصل على الصّليب. ليسَ على الإنسان أن يُجبِر نفسَه على الإماتات وقهرِ الذّات، بطريقة تفوقُ قدرتَه على تحمُّلِها، إذْ عليه أن يتذَكَّر دائمًا أنّه كائنٌ بشريّ لا إلهيّ، وبالتّالي فقُدرتَه محدودة على تحمُّل الآلام. حين تجسَّد المسيح في أرضنا، سعى اليهود إلى جَعلِه غريبًا عَنْهم ليتمكّنوا من قتلِه، إذ لا يجوز قتل شخص قريب، ولكنْ يجوز قتل الغريب. في زماننا هذا، يشعر حامل كلمة الله أنّه غريب عن عالَمِه، ولكنّ هذا الأمر لا يجب أن يدفع بالمؤمِن إلى اعتبار مَن يَرفُضُه، رافضًا لكلمة الحقّ، وبالتّالي اعتباره بمثابة صليب عليه تحمُّلُه، فإنّ مِثلِ ذلك التصرّف يشكّل إدانة للآخرين. إنّ على المؤمِن أن يسمع عظة الكاهن على أنّها موجّهة إليه شخصيًّا، مُحاولاً الاستفادة منها، دون أن يُحوّلها إلى وسيلةٍ لإدانة الآخرين على تصرّفاتِهم معه.

إنّ الكتاب المقدّس يستخدم عبارة "كلمة الله على" في مواضِعَ كثيرة. إنّ حرف الجرّ "على"، في اللّغة العِبْريّة، يُعطي طابع الخصومة، وهذا ما نجدُه أيضًا في اللّغة العربيّة. ففي اللّغة العربيّة، نستخدم عبارات مِثْلَ: "تكلّم فلان على فلان"، ونَعْني بذلك أنّ الكلام موجّه ضِدَّ الإنسان الآخر. وبالتّالي، فإنّ عبارة "كلمة الله عَلَيكَ" تحتمل تفسيريْن: فإمّا أن يُقصَد بها أنّ كلمة الله هي خَصمٌ لك وعدّوتك، وإمّا أن يُقصَد بها أنّ كلمة الله هي سَيِّدَة عليك.

إنّ كلمة "قلب" في اللّغة العِبْرِيّة تعني "اللُبّ"، وهي لا تدلّ على جزءٍ معيّن في جسم الإنسان، إنّما تُشير إلى كلّ كيانه، وبالتّالي فإنّ المقصود بـ "إنْ سمِعتم صوته، فلا تُقَسُّوا قلوبكم"، أن يَسمَع المؤمِن كلمة الله بكلّ كيانه، وألّا يرفُضَها، ويُقسّي قلبه. إنّ كلّ إنسان يَرفضُ حبًّا تُقَدِّمُه له، لا يستطيع أنْ يكون مُحايدًا لكَ، بل يتحوّل إلى عدوّكَ، فالّذي يرفُضُ حبَّك لا يستطيع أن يترُكُكَ وشأنَكَ، وبخاصّةٍ إنْ كان يشعرُ بأنّ حبَّك له صادقٌ. إنَّ المسيح قد أعلن حبَّه الصادق للبشر، غير أنّ بعضَهم قد رفضوا هذا الحبّ، فحوَّلوا أنفسهم إلى أعداء للمسيح، فاجتهدوا مُحاولين قتلَه، واختاروا له مِيتَة الصّليب كالعَبد. ونحن أيضًا اليوم، نستطيع إمّا أنْ نكون مِن حامِلي كلمة الله، وإمّا أنْ نكون مِن أعداء كلمة الله فنُحاربها.

لا فضلَ للمؤمِن في وصول كلمةِ الله إلى الآخرين بواسطته، فالفَضلُ يعود إلى الله الّذي اختاره، هو" الآنية الخَزَفيّة"، كي ينقل بواسطته كلمة الله إلى الآخرين، فالله لا يستند على قداسة الإنسان ليختار الإنسان. إنّ أشعيا النبيّ قد اعترض على اختيار الله له لبشارة الشعب، لأنّه إنسانٌ دَنِسُ الشِفاه. إنّ الله لم يستسلم أمام اعتراض أشعيا هذا، لذا قام بتطهير شفتَيّ أشعيا بالجمرة بواسطة الملاك. إنّ الله لم يُطهِّر كلّ كيان أشعيا إنّما فقط شفتَيْه لأنّهما الوسيلة الّتي سيَستَخدِمها أشعيا لتبشير النّاس. وبَعد عمليّة التّطهير هذه، أعلن أشعيا استعداده لأنْ يكون مُرسَلاً من قِبَل الله للشعب، فقال:"هاأنذا أرسلني"، فأرسل الله أشعيا إلى شعبٍ قاسي الرِّقاب والقلوب. وعندما اعترض أشعيا على نوعيّة الشعب الذي أرسَله

الله إليه، أخبره الله بأنّه، أي الله، هو مَن سيعمل في قلوب هذا الشعب القاسي بواسطة كلمته الخارجة مِن فَم النبيّ. إنّ كلمةَ الله تنطلق مِن عند الرّبّ ولا تعود إليه إلّا بعد أن تكون قد أنجَزَتْ ما أُرسِلت من أجله. إنّ اختيارَ الربّ لحاملي كلمته إلى الآخرين، لا يجعلهم أبدًا مالكِين لتلك الكلمة، بل مؤتَمنين عليها، لذلك عليهم إيصالها بكلّ أمانة، فكلمة الله هي مُلكُ الله، وليست مِلْكَهم. وبالتّالي، ليسَ على المؤمِن التحجّج بأنّه ليس أهلاً لنقل البشارة أو بأنّه لا يملك المعطيّات اللّازمة لذلك، لأنّ كلمة الله هي الفاعلةُ في قلوب سامعيها، وعلى المؤمِن إذًا، الاستعانة بمواهب الروح القدس أثناء البشارة، لا الاتكال على موهبته في الكلام. إنّ الله قد اختار البعض كي يُعلنوا البشارة، واختار آخرين كي يُصغوا إليها. إنّ مَن يُبشِّر هو أوّل السامعين لكلمة الله الّتي ينطق به،ا إذ إنّ أُذُنَيه هما الأقرب إلى فمه. إنّ الله يحتاج إلى أشخاص يسمعون كلمتَه، فيتكلّمون بها، ويُطبّقونها في حياتهم بِطُرُقٍ مختلفة كالخدمة والمساعدة، والتعامل مع الآخرين بلطافة وتواضع. إنّ النشاطات الكنسيّة تُختَتَم بشكرِ كلّ مَن ساهم في إنجاح النشاط، وبخاصّة الجنود المجهولين. إنّها لَمَوهبةٌ أن يكون المؤمِن جُنديًّا مجهولًا.

إنّ كلمة الله حيّةٌ فعّالةٌ تدخل إلى النّفس والرّوح والمخاخ والقلب (آ ١٢)، أي أنّها تدخل إلى كلّ كيان الإنسان. عندما يسمح الإنسان لكلمة الله بأنْ تُسيطِر على كلّ كيانه، عليه عندئذٍ أن يضع جانبًا كلّ ضعفه البشريّ، فيسعى إلى تحسين ذاته من خلال علاقته بالله. إنّ كلمة الله لا تتأثّر بضعف الإنسان، لذا عليه أن يبدأ بالتبشير بها دون الانتظار كي يصبح كاملاً بلا خطيئة، لأنّه لن يصل إلى الكمال إلّا في الحياة الأبديّة. إنّ الرسّل أعطوا الأولويّة في مسألة نشر البشارة إلى المسكونة بأسرها، لا في مسألة التخلُّص من خطاياهم، فَهَدَفُهم كان تعريف المسكونة إلى المسيح، ودعوتهم للإيمان به ربًّا. إنّ الحياة كلّها ما كانت لِتَكفي بطرس للتعويض عن خطيئته بإنكاره المسيح، وكذلك بولس الّذي لن يستطيع التعويض عن مسألة اضطهاده للمسيح لو مهما طال عمره، ولكنّهما بشّرا بالمسيح رغم ذلك ولم ينتظرا كي يصبحا كامِلَيْن. إنّ الرّبّ قد اختار بولس لينشر كلمته مِن قلب خطيئته، كما كان الأمر مع أشعيا حين اختاره الله، وكذلك الأمر مع بطرس الّذي اختاره الله مِن قلب خيانِته لينشر كلمتَه للآخرين. وبالتّالي، فإنّه مِن خلال ما حصل مع هؤلاء الرّسل، يمكننا الاستنتاج أنّ الربّ يدعو المؤمِن إلى عدم التلهّي في كيفيّة التخلّص مِن خطاياه، وأنّه يدعوه إلى أكثر من ذلك، إلى الالتقاء به وسط خطاياه وَضُعفِه البشريّ. إنّ دعوة الله هذه للمؤمِن، تجعله يخجل من ذاته عِوَض الافتخار بخطاياه، إذ إنّه قام بتكسير ذاتِه وطاقاتِه في ارتكابه الخطايا، عِوَض أن يستخدمَ تلك الطاقات الّتي وَهَبَه إيّاها الربّ في خدمة البشارة.

إنّ صاحب المزامير عَبَّر عن توبته إلى الله قائلاً إنّ فراشه قد تبلّل نتيجة ذرفه الدّموع كتعبير عن توبته، عما ارتكبه مِن خطايا. إخوتي، إنَّ ذرف الدّموع كتعبير عن التوبة لن يُفيد أحدًا، فالخطايا قد ارتُكبَت ولن تمحوها دموعنا. لذا، فلنعبّر عن توبتنا بالبكاء في اللّيل، أمّا في النّهار فلننطلق إلى البشارة بكلمة الله، فإيصال البشارة إلى الآخرين قد يُخلّصهم من الهلاك إنْ قَبِلوا بها. إذًا، على المؤمِن عدم التلهّي في التخلُّص من خطاياه إنّما ليَكُن همُّه الأوحد إيصال البشارة إلى

الآخرين. إنّ انشغال المؤمِن في بكاء خطيئته يؤدّي إلى تعطيل كلمة الله، الّتي قد يؤدي وصولها إلى الآخرين، إلى تغيير القلوب وخلاص النّفوس. إنّ الله قد قاد الشعب إلى الصحراء حيث الموت له الكلمة النّهائية، إذ لا حياة فيها، ولكنّ الله قد خلّص شعبه من المَوت في الصحراء، لأنّه الوحيد القادر على ذلك. إنّ الله قد انتشل شعبه من عُمق الموت، وأخرجهم إلى الحياة وخلَّصهم. وبالتّالي، فإنّ الله سيَظهر للمؤمِن حين يكون منغمسًا في خطيئته. إنّ الله لا يظهر للمؤمِن في أوقات الراحة والبحبوحة، إنّما يظهر له في أوقات الشّدة والتّعب، ولذا على المؤمِن الانتباه إلى حضور الله في حياته لأنّه سيَظهر له في وقتٍ لا يعرفه، وبطريقة لا يُدرِكها. إنّ الإنسان قد لا ينتبه في الكثير من الأوقات إلى كلّ الكلمات الّتي تُقال له وذلك لانشغاله بأمور أخرى، غير أنّ إحدى تلك الكلمات قد تكون مِنَ الربّ، لذا على المؤمِن الإصغاء إلى الجميع لأنّ الله قد يكلّمه من خلال أحدهم. إنّ الربّ يردّد على مسامعنا ما قاله لمرتا فيقول لنا إنّنا منشغلون ومنهمكون بأمور كثيرة غير أنّ المطلوب واحد، وهو سماع كلمة الله كما كانت تفعل مريم أخت مرتا. إنّ الربّ لا يقصد بكلامه هذا أنّ لا جدوى من الخدمة، بل إنّ ما يقصده هو أنْ يتفرّغ كلّ مؤمِن إلى كلمة الله من خلال الموهِبَة الّتي يمنحه إيّاها الربّ، فلا يقوم بإجبار الآخرين على العمل من أجل الله، وِفق موهبتِه هُوَ، إنّما وِفق الموهبة الّتي أعطاها الله للآخر. إذًا، على كلِّ مؤمِن أنْ يخدمَ الله وِفقَ موهبته الخاصّة، فإنّ الربّ قد مَنَح كلّاً منّا موهبة مختلفة عن موهبة الآخر. إنّ كلّ لقاء روحيّ، هو لقاء من أجل الانطلاق صوب الآخر. إنّ مرارة كلام النّاس قد تُضايقُك في الكثير من الأحيان وتدفعك إلى الشعور باليأس والإحباط والموت. أمّا كلمة الله، فعلى الرّغم من أنّها حادّة كالسَّيف وعلى مرارتها، فَهي تؤدّي إلى زرع الحياة والرّجاء فيك. إنّ هناك اختلاف في نوعيّة الكلام: إنّ كلمة الله صادقة ولا تقبل بالمساومة، أمّا كلام النّاس، فيقبل بها لأنّه كَذِبٌ وغشّ. وبالتّالي، فإن جَهِدَ المؤمِن في إيصال كلمة الله إلى الآخرين فهي ستؤدي بهم إلى الحياة، أمّا إنْ اجتَهَد كي تصلَ كلمتُه إلى الآخرين فهي ستؤدي بهم إلى اليأس.

إنّ يسوع المسيح هو رئيس كهنتِنا، نحن المؤمنين به، وهو عظيمٌ إذ قد اجتاز السّماوات. لذا، فلنتمسّك به إخوتي، ولنعترف به إلهًا لنا، لأنّه الوحيد الّذي يهتمّ لضُعفنا البشريّ فَهوَ قد اختبره حين لَبِسَ طبيعتنا البشريّة، فقد بكى، وشعر بالجوع والعطش مِثلَنا، غير أنّه لم يُشارِكْنا في الخطيئة لأنّها ليست مِن طبيعتنا البشريّة. إنّ الخطيئة هي الّتي تجعل المؤمنين كسالى، متذمّرين، متحججّين في هذا الزمن الطويل الّذي يعيش فيه المؤمنون قَبْل انتقالهم إلى بيت الآب. إنّ الزمن الطويل الّذي يعيشه الإنسان، يجعله يشعر بالتعب مِنَ المثابرة والجهاد، كما أنّه يدفعه إلى التململ والتذمّر مِن عدم تقدير الآخرين لجهودِه الّتي بَذَلَها في سبيل نقل البشارة إليهم، ويعبّر الإنسان الصالح عن انزعاجه مِن ذلك، مِن خلال ترداد المقولة الشائعة "افعل الخير وارمِه في البحر". إنّ هذه المقولة لا تعني بتاتًا أنّ الخير الّذي يقوم به الإنسان لا قيمة له، لِذا يجب رَمْيُه في البحر، بل على العكس مِن ذلك تمامًا، إذ على الإنسان أنْ يرمي الخير الّذي يقوم به في البحر، لأنّ في البحر أسماك تستطيع الاستفادة مِن عمله، في حال لم يَشأ الإنسان الآخر الاستفادة منه. إنّ خطورة الزمن الطويل تكمن في ضجر الإنسان. إنّ عدم نجاح الإنسان في الوصول إلى النتيجة الّتي يريدها مِن خلال عمله الخَيِّر يُشعِرُه

أيضًا بالضجر، لأنّ الإنسان بطبيعته لا يسعى إلى إيصال كلمة الله بنجاحٍ إلى الآخرين فَحَسب، إنّما يسعى كذلك إلى إيصال ذاته للآخرين، إذ إنّ كلّ إنسان يرغب في أن يكون معروفًا ومشهورًا مِن قِبَل الآخرين. إنّ عدم شعور الإنسان بالعَظَمة نتيجة أعماله، يَجعلُه يشعر بالفشل. إنّ مريم العذراء لم تبحث عن مكانٍ لها في الصدارة، فَهيَ دَعَتْ كلّ المؤمنين بابنها إلى القيام بما يأمرهم به، ثمّ تركت المكان لابنها، فَعَاشَتْ حياةً خفيّةً، غير ساعيةٍ للظهور والحصول على المجد الأرضيّ لأنّها تعلم عِلمًا يَقينًا أنَّ يسوع المسيح ابنها، هو العريس، وهو الأساس. إنَّ مريم العذراء كانت تحفَظ كلّ الأمور وتتأمّلها في قلبها، ومريم لم تتدخَّل في ما لا يَعنِيها، لذا لم تقم بأيّة مداخلة حين كان ابنها يعظ النّاس ويعلّمهم كلام الله. إنّ تصرّف مريم هذا، لا ينمّ عن تواضع فَحَسب، إنّما أيضًا عن إدراكِها لموهِبتها وعيشها لها، وهي ما زالت تقوم بما هو مطلوب منها حتّى اليوم.

إنّ المؤمنين الّذين اتّخذوا كلمة المسيح نهجًا وحياةً وثقافةً، يُدرِكون تمامًا أنّهم سيشاركون المسيح في حمل الصّليب يوميًّا. إنّ المؤمِن أمام الصّليب، يجد نفسه أمام مَوقِفيْن لا ثالث لهما: فإمّا أن يتحدّى الّصليب، فيَحملَه بِفرح، وإمّا أن ينزل عنه، فيتخلّى عن الصّليب. لو استجاب المسيح، حين كان معلّقًا على الصّليب، لِطَلب اليهود مِنه بأنْ ينزل عنه كي يؤمنوا به، لأَصبح زعيمًا يهوديًّا ولكنّه بالتأكيد كان بهذا الفعل تخلّى عن هويّته بِكَونِه ابن الله، إذ أصغى إلى صوتٍ آخر غير صوت الله الآب. إنّ الله قد تبنّى الإنسان منذ ولادته، وأعطاه كلّ حقوق البنوّة، وبالتّالي فقد أصبح الإنسان مُشاركًا للمسيح في ميراث الله. على المؤمن أن يشكر الله على نعمتِه الّتي منحَه إيّاه إذ جعله ابنه، ومُساويًا للمسيح في كلّ حقوق الابن، على الرّغم مِن الفرق الكبير بين الإنسان والمسيح، فالمسيح هو الإنسان البارّ الّذي لم يرتكب إثمًا، ولا وُجِد في فمه غشّ، أمّا الإنسان فهو لم يتوان يومًا عن النُّطق بالكذب والمساومة على الحقيقة. إنّ الشيطان يفرح حين يرى أحد المؤمنين يتخلّى عن صليبه، لأنّه يكره أمانة المؤمِن لكلمة الله، ولحَمْلِه الصّليب. على المؤمِن أن يبقى أمينًا لكلمة الله من خلال كلّ تصرفاته. على المؤمِن أن يتَذَكَّر دائمًا أنّه ينقل كلمة الله، لا كلمته الخاصّة إلى إخوته البشر، ولذا هي قادرة على أن تُغيّرهم، وأن تَفعَل في قلوبهم. فليسأل المؤمِن الله الرحمة وعدم السماح بمغادرته هذه الفانية قبل إتمام ما جاء لأجله قائلاً: "يا ربّ لا تَرُدَّني إلى الأرض، قَبْل أن تَرُدّني إليك". انطلاقًا مِن هذا الرّجاء العظيم الّذي لنا في المسيح، نستطيع القول إنّ المسيح هو رئيس كهنتنا الأعظم. إنّ رئيس الكهنة، هو مقدّم الذبائح، وَبِدُونه لا تتمّ الذبائح، وبالتّالي فَهوَ الأساس. فإن كنّا نحن المؤمِنين، مُقتنعين أنّ يسوع المسيح هو رئيس كهنتنا، فهذا يعني أنّنا مُدرِكون تمامًا أنّ لا شيء يمكن أن يتمّ في حياتنا دونه، وبالتّالي على تصرّفاتنا أن تُعلِن أنّ يسوع هو أساسُ حياتنا، وأنّ حياتنا مبنيّة عليه وحده دون سواه.

إنّ النّاس يحبّون إلقاء الأضواء على أخطاء غيرهم أكثر من خطاياهم الشخصيّة. إنّ الوقت الّذي يُمضيه النّاس للتكلّم على أخطاء الآخرين في غيابهم هو أكبر بأضعاف من الوقت الّذي يُمضونه في الكلام عن خطاياهم الشخصيّة. إذًا، يجب عدم التلهّي بالكلام عن أخطاء الآخرين لأنّ لا فائدة مِن ذلك في بنيان الآخر روحيًّا. إنّ مِثلَ تلك التصرّفات

تؤدي إلى هدم الآخر. كما أنّ التلهّي بالكلام عن الأخطاء الخاصّة، هو مَضْيَعةٌ للوقت، عِوَض الاستفادة مِن الوقت لنقل البشارة. إنّ إضاعة الوقت في الكلام عن خطايا الآخرين والخطايا الخاصّة، يؤدّي إلى نشوء النميمة والثرثرة، وتشويه السُّمعة، وإلى تنمية روح الإدانة، كما يؤدي هذا النّوع من الكلام إلى خلق اضطرابات نفسيّة وتنمية الكراهيّة ضدّ الآخرين في القلوب. لذا على كلّ مؤمِن أن يُحاول رؤية دور الله في حياته، ويسهر على ذاته عبر السعي الدائم إلى تحسين عيوبه، لأنّ في ذلك منفعة روحيّة. إخوتي، لِنُحاول الاستفادة من هذا الزمن المقدّس لتَحسين ذواتنا، فلا نُكرّر الأخطاء الّتي ارتكبناها في السّابق. إنّ كلمة الله تُعطينا عيونًا قادرة على أن تَرى، تُعطينا آذانًا قادرة على السّماع، وألسنةً قادرة على التكلّم، وتُعطينا أَرْجُل لنعرف أين نسير، وأيادي لنعرف كيف نخدم. آمين.

ملاحظة: دُوِّنت المحاضرة مِنْ قِبَلِنا بتصرّف.